ليست الا الوحشية المجردة من كل رحمة وخلق ، وما ان أفاق من صدمة المفاجأة حتى قرر أن يفعل شيئا يقاوم هذا الطغيان . فجاء مصر زائرا .

واستلفت نظرنا عندما طلب منا ان نستبعد الرسوم الكاريكاتيرية التي تصور أعمال البطش والتنكيل باسرائيل والتي كثر نشرها قبل حرب يونيه في مصر . لان اسرائيل اعتمدت على هذه الرسوم في واحدة من أوسع حملاتها الدعائية ضد العرب . فقد جمعوا كمية من هذه الرسوم ، وهي تصور العرب يطعنون اسرائيل ، وينسفونها ، ويقطعونها بالبلط ، ويطيحون بها في البحر ، بمختلف أشكال التنكيل والبطش ، ثم طبعوا منها كتيبات ووزعوها بمختلف اللغات بعد أن كتبوا تحتها « هذا ما ينوي العرب ان يفعلوه باسرائيل الوديعة المتمدنة » . وكسبت اسرائيل ، بهذا ، الرأي العام العالمي في صفها .

اليس من حق الرسام المصري — ومن واجبه أيضا — أن يدرك الكيفية التي ساهم بها في صياغة النكسة ، والتي بذل في سبيلها الكثير من سهر الليالي تفكيرا وتخطيطا ؟ اليس من حقه وواجبه ان يتأمل ، في جهده ، كيف يتحـــول الى سلاح في يد الاعلام الصهيوني ، يستولي به على الراي العام العالمي ؟

من الانصاف — للكاريكاتير ولأنفسنا — أن نسترجع بعض الحقائق التي مهدت لهذا الخطأ . ولنبدأ بالانتصارات التي كان للكاريكاتير دور ونصيب واضح فيها ، منذ نهاية الحرب العالمية الثانية . سنجد قائمة طويلة عريضة من المعارك التي انتهت نتائجها بفضح مشاريع الاستعمار — قديمه وجديده — والتي كانت تهدف الى ربط دول المنطقة به عن طريق الاحلاف العسكرية ، ابتداء من مشروع حلف شرق البحر الابيض وانتهاء بحلف بغداد ، مرورا في الطريق بمشروع ايزنهاور لملء الفراغ ، وبالنقطة الرابعة المشبوهة ، وبالمشروع الاكثر شبهة « الهلال الخصيب » .. والى آخر هذه المحاولات . ويكفي أن نسوق دليلا — لم يسبق نشره في مصر — وهو علـــى لسان « ريتشارد نيكسون » — وكان وقتها مستشارا للرئيس الامريكي الراحل « دوايت ايزنهاور » — وكان « نيكسون » وقتها عائدا من توه من رحلة فاشلة قام بها الى « الخرطوم » بحثا عن أي نجاح ، ولو محدود ، لمشروعات الربط الاستعمارية هذه ، والتي لم تنجح منها محاولة واحدة . فقد كان في استقبال « نيكسون » على الطريق من المطار الى الخرطوم مئات من الأفيشات والملصقات الحائطية ، تردد نفس الجملـــة التي كان الامريكيون يواجهون بها في كل مكان يذهبون اليه خارج الولايات المتحدة الامريكية ، والتي تتألف من ثلاث كلمات اساسية ، وهي « عد الى بلادك » . وكأنما أدرك مصـــير رحلته فاختصر الزيارة ، وعاد ليعقد مؤتمرا صحفيا ، وليعلن فيه رأيـــه في أسباب فشل رحلته ، بالهجوم على الرسامين الكاريكاتيريين في مصر . وقد نشرت مواد هذا الهجوم في الصحف الامريكية في حينها .

وما يعنينا من هذه المعارك الاعلامية ، هو أن الانتصارات التي تراكمت واحدة تلو الاخرى كانت متتابعة متلاحقة ، الى الحد الذي جعل الحركة الكاريكاتيرية المصرية تعتبرها كنوع من العادات الثابتة . وهذا الاعتياد على النصر جعل الانتاج الكاريكاتيري يتأثر ، الى حد القصور عن مواصلة الاجتهاد والمعاناة اللازمين في عملية الخلق الفني . فالنتائج متيسرة بغير الاجتهاد والمعاناة .. أو هكذا توهم الرســـام المصري بطريقة تلقائية ، وهذه بعينها هي الغفلة .

اذا أضفنا الى هذه الشريحة التاريخية شريحة أخرى للتغيرات المادية التي أصابت علاقات مصر الخارجية ، نكون على اقتراب من لب الموضوع . فمن البدهيات المسلم